جمهورية مصر العربية
جامعة القاهرة
كلية دار العلوم
الدراسات العليا
قسم النحو والصرف والعروض

حاشية العلامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري

(توفي: ١٢٥٠هـ)

دراسة وتحقيقا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم النحو والصرف والعروض

إعداد الباحث

إيهاب عبد الفتاح يسن علي

إشراف

الأستاذ الدكتور

أحمد محمد عبد الدايم

٢٠١٦م – ١٤٣٧هـ

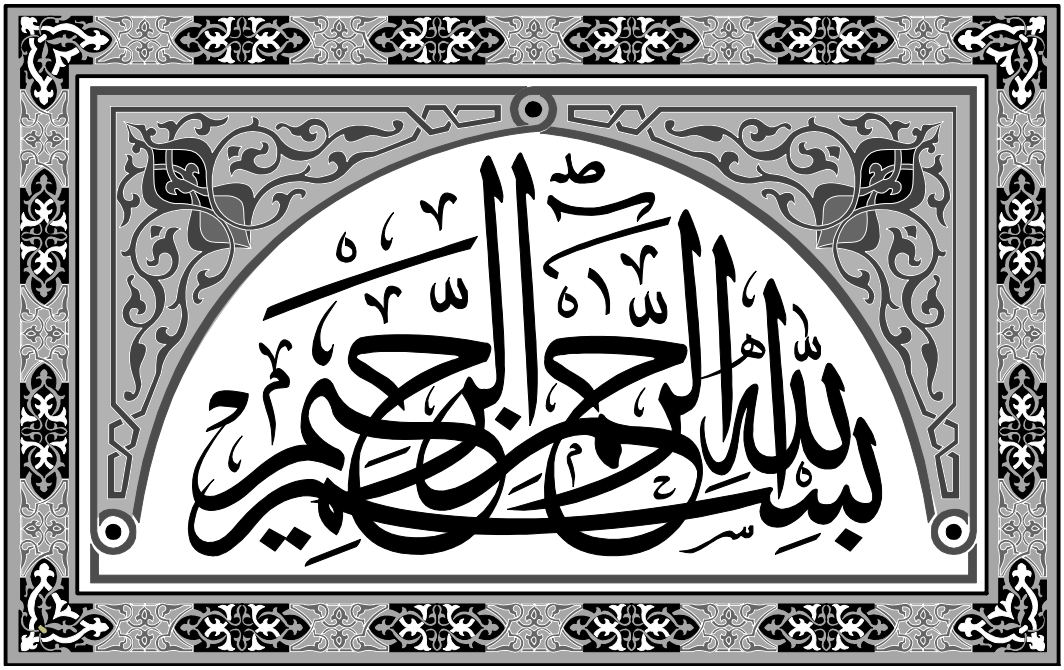
بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والتقدير

شكرٌ وتقدير للسادة:

الأستاذ الدكتور/ أحمد محمد عبد الدايم، المشرف على الرسالة، والأستاذ بقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

الأستاذ الدكتور/ مجدى محمود رشاد (مناقشًا) الأستاذ بجامعة مصر.

الأستاذ الدكتور/ سوزان محمد فؤاد فهمي (مناقشًا) الأستاذ المساعد بقسم النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة.

على ما بذلوه من جهدٍ وفير من أجل إخراج هذا السفر الجليل، وما أسدوه من نصائح غالية وتوجيهاتٍ مفيدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليّا مرشدا، ونصلى ونسلم على النبي المصطفى، والرسول المجتبى، إمام الأتقياء، وحلية الأولياء، وخليل رب الأرض والسماء سيدنا محمد بن عبد الله وعلى آله الأنقياء وصحبه الأصفياء وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد،

فإن تحقيق التراث وإبراز لآلئه وكنوزه لأمر يستحق الجدّ والاجتهاد، ويستأهل الصبر والمثابرة؛ فالتراث هو الجسر الذي نعبر عليه صوب التجديد، والقاعدة التي ننطلق منها نحو الابتكار؛ ولذا فقد صح عزمي على نيل شرف تحقيق مخطوطة في النحو – وهو أمر جد عسير – لعلى بذلك أزيل النقع المتراكم والرغام المتطابق عن كتر دفين من كنوز اللغة، وأُخرج خريدة مصونة من صدفتها، وأُسْهِم في إضافة سِفْرٍ تستبينُ به سبيلُ أسلافنا العظماء في التعاطي مع قضايا النحو ومعالجة مسائله؛ فهيّأ الله لي نسختين من مخطوطة بعنوان "حاشية العلامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري" لحسن بن محمد بن محمود العطار المتوفي سنة ١٢٥٠هـ، والعطار كان لعصره كالشمس للدنيا والعافية للبدن؛ فقد كان - رحمه الله – بحرًا زخّارًا وسَيْلاً جرّارًا ما ترك علمًا من العلوم إلا وله فيه أثر، وما ترك فنًّا من فنون المنقول والمعقول إلا وله فيه رأي ونظر، كيف لا وهو العالم الموسوعي صاحب التصانيف الباهرة، والتآليف الزاهرة الذي زيّن الأزهر الشريف بمشيخته له فهو الشيخ السادس عشر للجامع الأزهر، والعطار يُعدّ – بحقٍّ ويقين – غارس بذرة النهضة الحديثة التي رعاها من بعده حق رعايتها تلميذه الأثير رفاعة رافع الطهطاوي المتوفي سنة ١٢٩٠هـ، وأما حاشيته فهي سِفْرٌ جليل جامعٌ وحاوٍ لكل دقائق علم النحو لدى العلماء السالفين على اختلاف المذاهب والأنظار، فقيل في شأنها: "وهذه

الحاشية جاءت من شهرة المحاسن الزائدة، وسبك العبارات، وكثرة الفائدة ما يُغْنى عن البيان، ويُوقِظُ الوسنان"(١)

وقد طبعت هذه الحاشية لجليل قيمتها وعظيم أهميتها طبعات متكررة من قديم، فلما تأكد لدي أن يد العلم لم تقم – حتى يومنا هذا فيما أعلم -بخدمتها ورعايتها بالدراسة والتحقيق، وبعد استشارة ذوي الاختصاص، شددت مئزري، وشمرت عن ساعدي للقيام بهذا العمل المبارك مستعينًا بالله، وسائلاً إياه التوفيق والسداد.

وقد تقدمت لنيل درجة الماجستير بقسم النحو والصرف والعروض بموضوع عنوانه "حاشية العلّامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهر توفي (١٢٥٠هـ)" دراسةً وتحقيقًا.

و لم يكن اختياري هذه الحاشية لتكون موضوع دراستي خبط عشواء، بل تم اختيارها إيمانًا بضرورة دراستها وتحقيقها، وقد دفعني إلى اختيارها أسباب كثيرة، أبرزها ما يلي:

١- أنه مخطوط طبع مرارًا دون دراسةٍ أو تحقيقٍ وهو مخطوطٌ حقيق بألا تخلو منه مكتبة باحثٍ في علم النحو.

٢- أن هذه الحاشية هي أبرز حواشي شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥ هـ.

٣- رغبتي المخلصة في إماطة اللثام عن مُؤلّفها "العلامة حسن العطار" من خلال بيان سيرته ونشأته ومنهجه ووفاته، وسيجد القارئ ترجمةً رصينةً لهذا الحَبْر الكبير.

٤- تسليط أضواء البحث العلمي على معالجة علماء القرن الثالث عشر الهجري لعلم النحو.

٥- الكشف عن دور المنطق في صياغة الحدود النحوية.

٦- الغيرة على تراثنا العربي والرغبة في إنقاذه من الضياع، وهذا العمل محاولة للحفاظ على تراث هذه الأمة وذاكرتها الجماعية.

٧- إبراز دور شيوخ الجامع الأزهر الشريف في الحفاظ على التراث النحوي.

وأما خطة البحث: فقد جعلت أطروحتي في قسمين رئيسين وتمهيد ومقدمة.

(١) انظر: الشيخ خالد الأزهري وجهوده النحوية ص (٨٢).

أما المقدمة فقد أبنت فيها موضوع بحثي، مبينًا أسباب اختياره، وخطتي فيه، وأهم الصعوبات التي واجهتني فيه، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة.

وأما التمهيد فقد خصصته للحديث عن العصر الذي ظهر فيه الشيخ حسن العطار من الناحية السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية، كما بيّنت فيه فلسفة العطار في التعامل مع الاحتلال الفرنسي، وكذا دوره في الصحافة.

أما القسم الأول فقد خصصته للدراسة، وقد جعلته في ثلاثة فصولٍ:

أما الفصل الأول، ففيه مبحثان:

أما المبحث الأول فقد عَرّفْتُ فيه بالشيخ خالد الأزهري من حيث النسب والكنية واللقب والمولد والنشأة والمسيرة العلمية والمؤلفات، وبسطت الحديث عن شرح الأزهرية ومنهج الشيخ خالد فيها، وأثرها في الدرس النحوي، ثم أنهيت هذا المبحث بوفاته.

وأما المبحث الثاني فقد أزحت فيه الستار عن سيرة العلامة الفذّ الشيخ حسن العطار من حيث النسب والكنية واللقب والمولد والنشأة والمسيرة العلمية والمؤلفات والمكانة الرفيعة التي تبوأها، ومشيخته للأزهر، ووفاته.

وفي الفصل الثاني وثقت فيه نسبة الكتاب، ومنهج العطار فيه ومصادره، وهو يتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وثّقت فيه نسبة كتاب "حاشية العلامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية" للعلامة حسن العطار.

والمبحث الثاني: عَرّفْتُ فيه منهج العطار في حاشيته على الأزهرية وختمت الفصل بالمبحث الثالث حيث أفردته للحديث عن مصادر العطار في حاشيته.

وفي الفصل الثالث قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تناولت فيه الشواهد النحوية عند العطار.

والمبحث الثاني: خصصته للحديث عن أصول النحو عند العطار.

والمبحث الثالث: درست فيه ترجيحات العطار، وتأثره بالمدرسة البصريةوبابن هشام ومذهبه النحوي.

أما القسم الثاني – وهو التحقيق – فقد وضَّحت فيه المنهج الذي انتهجته في التحقيق، ووصف النسخ المعتمدة في التحقيق، ثم عرض نماذج من صور نسخ المخطوطة المعتمدة، ثم أَتْبَعْتُ ذلك بنص الكتاب "حاشية العلامة الشيخ حسن العطار على شرح الأزهرية" محققًا تحقيقًا علميًّا.

وتَوّجْتُ هذا الباب بخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات، ثم ختمت هذا العمل بفهارس فنية، توزعت على الموضوعات الآتية: الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة، والأشعار، وأقوال العرب وأمثالها، والمواضع والبلدان، والقبائل، والأعلام، والمصادر والمراجع، والمحتويات. ونظـرًا إلى تعدد جوانب الدراسة؛ فقد عَمَدْتُ إلى المنهج التاريخي الذي ظهر جَليًّا في الحـديث عـن عصر المؤلف وحياته، والمنهج الوصفي وذلك في ثنايا حديثنا عن منهج العطـار، وشـواهده، ومصادره، واختياراته النحوية.

وبرغم اللذة التي قد ذقتها في أثناء معايشتي ومعالجتي لهذا السِّفْر الماتع، إلا أنـه قـد واجهتني بعض الصعوبات التي لم تكن مفاجئة؛ إذ واجهها كل من ركب بحر التحقيـق، وكابد أمواجه، وواجه رياحه وأنواءه، ولعل أبرز هذه الصعوبات ما يأتي:

١- صاحب الحاشية العلامة حسن العطار؛ فالباحث لا يتعامل مع شخص واحد في هذه الحاشية بل مع دائرة معارف متكاملة تتحدث في النحو، والمنطق، والبلاغة، وعلم الكلام، والفقه، ومصطلح الحديث، والتشريح .. إلخ مما يُجْبر المرء على التواصل مع كل المعارف والعلوم!

٢- اقتصار صاحب الحاشية في بعض الأحيان على جزء بيت دونما إشـارة إلى أنه شعرٌ، مما زاد في صعوبة تخريج الشواهد النحوية الشعرية، وكذا الحال في الآيات القرآنية، فلم يكن يضع أيَّة إشارة إلى أنها آية، وكـان يكتفي من الآية بكلمة أو كلمتين أو ثلاث.

٣- الاقتباس من العلماء دونما إشارة إلى اسم الكِتاب، مما تَطلّبَ جهدًا كبيرًا في مراجعة أمهات الكتب؛ لتوثيق النقول وعَزْوِهَا إلى قائلها.

٤- وقوع النساخ في أخطاء نحوية مخالفة لرأي العطار كما في إعراب الملحق بالمثنى على أنه مثنى، والملحق بجمع المذكر السالم على أنه جمع مـذكر سالم.

٥- كبر حجم المخطوطة نسبيًّا إذ تجاوز مائة واثنتي عشرة ورقة، في كـل ورقة صفحتان، وقد عالج المخطوط معظم أبواب النحو، وحشد طائفة من الآراء المختلفة في المسألة تصريحًا أو تلميحًا، مما تطلب مزيد بحـث وتحقيق.

٦- عزو العطار إلى كتب مازالت مخطوطة حتى الآن؛ الأمر الذى تطلـب مزيد جهد وبحث فى مكتبات التراث

وأما الدراسات السابقة، فلم تقم دراسة – فيما أعلم – على هذا السِّفْر الجليل، على الرغم من أنه قد طبع مرارًا آخرها في عام ١٩٨٨م كما هو مدون بدار الكتب المصرية – قسم المطبوعات.

أما أبرز المصادر والمراجع التي ساعدتني على تحقيق هذا الأثر المفيد، فقد تنوعت بين كتب اللغة، والنحو، والقراءات، والحديث، والتراجم، والتاريخ، وعلم الكلام إضافة إلى بعض الرسائل الجامعية، ومن هذه المصادر: كتاب سيبويه، والقاموس المحيط، ومغنى اللبيب لابن هشام، والبحر المحيط لأبي حيان، والاقتراح للسيوطي، وصحيح البخاري، وغيرها من الكتب التي دونتها في ثبت المصادر والمراجع الوارد في نهاية الكتاب.

ذلك هو عملي في هذا البحث، فالله أسأل أن يكون عملي هذا موفقًا، فإن كان كذلك فهو من فضل الله ونعمته، وإن كان غير ذلك فمن تقصيري والشيطان، ولكن بحسبي من ذلك أن لي أجرًا.

والباحث – دائمًا – يضع نصب عينيه عبارة العماد الأصفهاني: "إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابًا في يومه إلا قال في غده: لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولوزِيدَ كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"(١)

وفي النهاية لا يسعني إلا أن أتوجه بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف فضيلة الحَبْر العلامة الأستاذ الدكتور أحمد محمد عبد الدايم على قبوله الإشراف على هذا البحث، وتواضعه وسعة صدره مع كثرة ترددي عليه، وتشجيعه المستمر لي ولغيري من طلبة العلم على تناول هذه الموضوعات، وحرصه على الدقة في إنجازها، وما ذلك إلا لَمحْتده النفيس، كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من قدم إلى العون والمساندة على إتمام هذا العمل الجليل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلِّ اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

& & &

(١) انظر: كشف الظنون (٧١/١).

تمهيد

إن الوقوف على العصر الذي عاش فيه حسن العطار، والتعرّف على جوانب هذا العصر السياسية، والاجتماعية، والثقافية ليعيننا على كشف الحجب عن شخصية عظيمة مثل شخصية حسن العطار وسبر أغوارها، ويساعدنا – كذلك - على معرفة العوامل المكونة لهذه الشخصية، فالإنسان ابن عصره وبيئته، وذلك أمر لا ريب فيه، والذي لا ريب فيه – أيضًا – أن ابن العصر قد يكون مُؤَثِّرًا أو مُتَأَثِّرًا أو الاثنين معًا، وقد يكون منُزويًا لا إلى هذا ولا إلى ذاك بل يغرس نفسه في أرض الخمول.

كذلك يساعدنا الوقوف على العصر الذي عاش فيه العطار على رسم صورة لواقع الحياة في تلك الفترة من تاريخ مصر، ومن ثم نحكم على العطار هل كان له محل من هذه الصورة؟ أو ليس له محل منها؟!

أولاً: الجانب السياسي:

دخلت مصر – كمعظم أجزاء الوطن العربي - في حَوْزة الحكم العثماني ابتداءً من سنة (١٥١٧م – ٩٢٣هـ) باستيلاء السلطان سليم الأول على البلاد وزوال سلطنة المماليك منها، فاستتبع الفتح العثماني وضع نظام جديد للحكم في مصر... رزحت تحته البلاد نحو ثلاثة قرون متعاقبة من سنة (١٥١٧م) إلى سنة (١٧٩٨م)(١).

أدّى نظام الحكم الجديد إلى حدوث اضطرابات عنيفة في مصر، وصارت البلاد مسرحًا للفتن والمشادة بين السلطات الثلاث(٢) التي تنازعت الحكم فيها، فحال ذلك دون قيام حكومة ثابتة مستقرة ترفع من شأن مصر، وتقيم العدل وتحفظ الأمن بين ربوعها وتُعْنَى بمرافقها(٣). في سنة ١٦٧٢م حدث تحوّلٌ جذريّ في النظام السياسي في مصر، إذ استأثر المماليك البكوات وحدهم بحكم مصر، ولم يكن للوالي التركي بجانبهم نفوذ ولا سلطان(٤)، وطمحت نفوس هؤلاء المماليك إلى التخلص من تركيا والاستقلال بمصر،

(١) انظر: تاريخ الحركة القومية، وتطور نظام الحكم ص (١٤).

(٢) يُقْصَدُ بالسلطات الثلاث: سلطة الوالي العثماني، وسلطة رؤساء الجند، وسلطة المماليك، للتوسع انظر: تاريخ الحركات القومية، ص (١٧ : ٢٢).

(٣) انظر السابق ص (٤٥).

(٤) انظر: حسن العطار لـ (محمد عبد الغني حسن) ص (٦)، وللتوسع انظر: عجائب الآثار للجبرتي (١/٢٢٦).

وظهر هذا الأمر جليًّا على يد علي بك الكبير إذ عزل الوالي التركي ومنع ورود الولاة العثمانيين، وضرب النقود باسمه، ودانت له مصر بحريها وقبليها(١).

ظل هذا الوضع على ما هو عليه بعد مقتل علي بك سنة ١٧٧٣م من سيطرة بكوات المماليك على السلطة الزمنية في مصر إلى أن جاءت الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م(٢).

ثانيًا: الجانب الاجتماعي:

بلغ عدد سكان مصر في أواخر القرن الثامن عشر – حيث ولد العطار ونشأ وتعلم – ثلاثة ملايين، ينقسمون إلى حكام ومحكومين؛ فالحكام هم فئة المماليك الذين استبدوا بحكم البلاد وقد كانوا قلة قليلة، والمحكومون هم الشعب المصري.

والشعب المصري – حينذاك – كان يتألف من عدة طبقات اجتماعية وهذه الطبقات هي:

الطبقة الأولى: العلماء ورجال الشرع:

كان لهم في ذلك العهد تأثير عظيم في نفوس الأمة وقيادة أفكارها..

الطبقة الثانية: طبقة الملاك:

وتتألف هذه الطبقة من (الحضريين، وضباط الفرق، والأفندية، وسلالة العثمانيين الذين استوطنوا البلاد، والكثير من العلماء، والأعيان في البنادر والأقاليم).

الطبقة الثالثة: التجار:

كانت هذه الطبقة تشغل حيزًا كبيرًا في المجتمع المصري، وكانت أغنى طبقات الشعب، ولكن هذا لا يعني عدم وجود تجار فقراء، فأبو حسن العطار كان عطارًا فقيرًا(٣).

الطبقة الرابعة: طبقة الفلاحين:

ومنهم يتكون الشطر الأكبر من الأمة، وكانوا في حالة يُرثَى لها من الجهل والفاقة؛ ذلك أن الفلاحين كانوا أكثر استهدافًا لمظالم الحكام وفداحة الضرائب التي تحرمهم ثمرة كدهم، وتجعلهم في حالة فقر مستمر.

---

(١) انظر: تاريخ الحركة القومية ص (٢٥).

(٢) انظر السابق، ص (٢٦).

(٣) انظر: الخطط التوفيقية (٣٨/٤)، ومعجم المؤلفين (٥٨٧/١).

الطبقة الخامسة: طبقة الصناع:

والصناع كانوا – عادة - من الطبقات الفقيرة، وكانوا ينتظمون في طوائف تشبه النقابات العمالية في عصرنا الحالي... يرأسها شيخ يسمى (شيخ الطائفة)(١).

ثالثًا: الجانب الثقافي والفكري.

انحدر الجانب الثقافي في ذلك العصر انحدارًا مبينًا، وكانت ظلمات الجهل – وقتئذٍ– بعضها فوق بعض، حتى إذا ما أراد امرؤ أن ينظر إلى طريق فكر أو سبيل علم لم يكد يراه؛ فقد حرمت البلاد من معاهد العلم والتعليم، ولم يبق سوى الجامع الأزهر معهدًا وحيدًا تدرس فيه العلوم، ولولاه لانطفأت آخر شعلة للعلم في مصر.

ما سبق ذكره لا يعد مبالغة ولا تهويلاً بل رصدًا لواقع مرير وصفه لنا صاحب الخطط إذ يقول: "من ابتداء القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر، يعني: مدة ثلاثة قرون قد أهمل أمر المدارس، وامتدت أيدي الأطماع إلى أوقافها، وتصرّف النظار على خلاف شروط وقفها، وامتُنِع الصرف على المدرسين والطلبة والخَدَمة، فأخذوا في مفارقتها، وصار ذلك يزيد في كل سنة عما قبلها لكثرة الاضطرابات الحاصلة بالبلاد، حتى انقطع التدريس فيها بالكلية، وبيعت كتبها وانتهبت، ثم أخذت تتشعث وتتخرب من عدم الالتفات إلى عمارتها ومرمَّتها؛ فامتدت أيدي الناس والظَّلَمة إلى بيع رخامها، وأبوابها وشبابيكها؛ حتى آل بعض تلك المدارس الفخيمة والمباني الجليلة إلى زاوية صغيرة تراها مغلقة في أغلب الأيام، وبعضها زال بالكلية وصار زريبة أو حوشًا أو غير ذلك. ولله عاقبة الأمور!"(٢).

هذه صورة لما آلت إليه المؤسسات التعليمية في هذا العصر من الاضمحلال.

ولو تأملت في تراجم من ذكرهم الجبرتي في كتابه من علماء ذلك العصر لما رأيت منهم من يصح اعتباره عالمًا نابهًا في الفلسفة والعلوم والآداب(٣).

واقتصرت الحركة العلمية على وجود طائفة من العلماء والشيوخ الذين اهتموا بتأليف

---

(١) انظر: تاريخ الحركة القومية ص (٥٠)، وما بعدها، وحسن العطار ص (٩) وما بعدها، وللتوسع انظر: عجائب الآثار للجبرتي نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٢م.

(٢) انظر: الخطط التوفيقية (١/٨٧، ٨٨).

(٣) انظر: تاريخ الحركة القومية ص (٤٩)، وفي هذا الكلام الذي ذكره المؤرخ عبد الرحمن الرافعي نظرٌ حيث إن العلامة حسن العطار يصح اعتباره عالمًا نابهًا في الفلسفة والعلوم والآداب – بيقين – وهذا حق الرجل، حيث صاغ مؤلفات عظيمة في شتى صنوف المعرفة، وبنى رجال النهضة الحديثة وعلى رأسهم رفاعة رافع الطهطاوي. وللرجل عبارة لو لم يقل غيرها لزاحم ابن رشد وأرسطو ألا وهي: "إن بلادنا لابد أن تتغير أحوالها، ويتجدد بها من المعارف ما ليس فيها"، انظر: الخطط التوفيقية (٤/٤٠).